المحور الأول

المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم



المبادئ العسكرية
في ضوء القرآن الكريم

إعداد

أ.د.عبد الفتاح بن محمد خضر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد بأبها





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد المجاهدين، وحبيب رب العالمين، الذي رفع الله به لواء الدين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم أما بعد

فإنه لمن دواعي سروري أن أتقدم بورقة العمل هذه للجنة الثقافية الموقرة القائمة على تنظيم جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن العظيم للعسكريين الرابعة، هذه الورقة التي تدور حول المحور الثاني من محاور الملتقى القرآني الدولي: [العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم] وذلك تلبية لدعوة كريمة وجهها سعادة المدير العام لإدارة الشؤون الدينية بالقوات المسلحة، المشرف العام على المسابقة لإدارة جامعة الملك خالد بأبها لمشاركة الباحثين في الملتقى القرآني الذي سيتم بعون الله عقده في صحبة المسابقة القرآنية الدولية بالرياض بتاريخ: ٢١ربيع أول ١٤٢٨هـ .

وإنه ليشرفني غاية الشرف أن أكون ضمن المشاركين في هذا الحدث المبارك الذي أسأل الله تعالى أن يجزي كل القائمين عليه خير الجزاء.

هذا وقد دارت نقاط محور[المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم] حول النقاط الآتية:

المبدأ الأول: غرس العقيدة الصحيحة وتطبيقها.

المبدأ الثاني: صدق النية.

المبدأ الثالث: الإعداد الجيد.

المبدأ الرابع: الصلاح.

المبدأ الخامس:طاعة القائد.

المبدأ السادس: التعاون ونبذ الفرقة.

المبدأ السابع: التخفف من حب الدنيا.

المبدأ الثامن: الشجاعة في ملاقاة العدو.

المبدأ التاسع: مراقبة الله في عدوه.

المبدأ العاشر: الصبر والأناة.

المبدأ الحادي عشر: عدم التأثر بالإشاعات.

المبدأ الثاني عشر: السرية التامة.

المبدأ الثالث عشر: جعل الهزيمة منطلقا للنصر.

المبدأ الرابع عشر: اليقين على أن النصر من عند الله وحده

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

أ.د. عبد الفتاح بن محمد خضر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

وعضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه

جامعة الملك خالد

كلية الشريعة وأصول الدين

قسم القرآن وعلومه

جوال: ٠٥٠٧٦٩٧٥٦٢



المبدأ الأول: غرس العقيدة الصحيحة:

مما لا شك فيه أن العقيدة الإسلامية الصافية التي تدين لله وحده لا شريك له هي التي نادت جيوش المسلمين الأوائل لملاقاة أعداء الإسلام، وبيع الروح رخيصة في سبيل الواحد الأحد الفرد الصمد، ولولا هذه العقيدة الراسخة المركوزة في قلوب جند الإسلام ما رفع للإسلام راية ولا حررت له أرض ولا عبد الله في الأرض.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:١١١، ١١٢].

يبين المولى تبارك وتعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة, وما أعد الله فيها من النعيم لبذلهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه, فيَقْتلون ويُقتَلون, وعدًا عليه حقًا، أثبت سبحانه ذلك في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام, والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام, والقرآن المنزل على محمد ﷺ. ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفَّى بما عاهد الله عليه فقاتل على شرط القتال, فأظهروا يا معشر المؤمنين السرور ببيعكم الذي بايعتم الله به, وبما وعدكم ربكم من الجنة التي عرضها كعرض السماء: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الحديد: ٢١]، وذلك البيع هو الفلاح والفوز العظيم.

ثم يبن الله تعالى من أوصاف هؤلاء المبشرين بدخول الجنة أنهم التائبون من الذنوب والآثام وكل ما لا يحبه سبحانه, العابدون الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له الحامدون: الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر, السائحون: الصائمون صياما حقيقياً, الراكعون: في صلاتهم المؤدون الصلاة في جماعة المسلمين, الساجدون مع الساجدين، الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به, وينهونهم عن كل منكر وحرام وما فيه شبهة, المؤدون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه, القائمون على طاعته, الواقفون عند حدوده. وبشِّر يا رسول الله المتصفين بهذه الصفات بالجنة وهم أحق بها وأهلها.

فأصحاب العقيدة السليمة هم الذين يقاتلون في سبيل الله لا في سبيل غيره، يبيعون الدنيا ليستخلصوا لأنفسهم الآخرة، قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا



بِٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[النساء:٧٤ــ ٧٦].

يقول المحقق الآلوسي: (وفي تعقيب القتال في الآية الأولى بما ذكر تنبيه على أن المجاهد ينبغي أن يكون همه أحد الأمرين: إما إكرام نفسه بالقتل والشهادة أو إعزاز الدين وإعلاء كلمة الله تعالى بالنصر ولا يحدث نفسه بالهرب بوجه، ولذا لم يقل فيُغلب أو يغلب، وتقديم القتل للإيذان بتقدمه في استتباع الأجر)[١] ولن يبيع أحد نفسه فيعرضها للقتل إلا إذا كان متمكناً من عقيدة صحيحة تهتز الجبال وهي لا تتأثر.

المبدأ الثاني: صدق النية:

ومن المسلمات أن صدق النية ركيزة أصيلة من ركائز نجاح الأعمال، وخاصة عمل يعرض حياة الإنسان للقتل وأرضه للسلب، ودينه للخطر، والأعمال بالنيات كما صح عن رسول الله ﷺ.

والله تعالى وحده هو الذي يعلم النوايا، ويطلع على الخفايا، قال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨]. فقوله: "فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ" أي من الصدق والإخلاص للإسلام ونبيه ﷺ، فكان الرضوان والثواب.

يقول الحافظ ابن كثير: (يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة "فعلم ما في قلوبهم" أي: من الصدق والوفاء والسمع والطاعة "فأنزل السكينة" وهي الطمأنينة "عليهم" وأثابهم فتحا قريبا، وهو ما أجرى الله ــ عز وجل ــ على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة)[٢].

(١) روح المعاني: ٥/٨١.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٩١.



وقد وصف الله تعالى الصحابة رضوان الله عليهم بالرجال الصادقين، فقال الله سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [الأحزاب:٢٣]، فهم أولا مشهود لهم بالإيمان، وهم رجال تنطبق عليهم كل شروط الرجولة حيث الوفاء بعهد الله تعالى, والصبر على البأساء والضراء وحين البأس: فمنهم من وَفَّى بنذره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء, ومنهم مَن ينتظر النصر أو الشهادة, وما غيَّروا عهد الله, ولا نقضوه ولا بدَّلوه, كما غيَّر المنافقون.

قال القرطبي متحدثا عمن صدقوا في نواياهم لله وهم الصحابة رضوان الله عليهم ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين: (قال الله فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾[الحشر: ٨]، ثم قال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر: ٩]، هذا لعلمه تبارك وتعالى بحالهم وما آل إليه أمرهم ولا غرابة فهم كما قال رسول الله ﷺ:" **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم**" وقال عنهم أيضاً: "**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل جبل أحد ذهبا لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه**").

إذاً فالنوايا الصادقة هي المقبولة عند الله وهي الأصل الأصيل بعد العقيدة الصحيحة في إرساء مبادئ الجندية الإسلامية.

المبدأ الثالث: الإعداد الجيد:

وعن الإعداد الجيد للمعارك في الإسلام يقول الله تعالى آمرا المؤمنين بتجهيز كل مستطاع لديهم لمعركة حاسمة منصورة بإذن الله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ﴾[الأنفال:٦٠].

أي: وأعدُّوا لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه ــ يا معشر الموحدين ــ من عدد وعدة, لترهبوا قلوب أعداء الله وأعدائكم المتربصين بكم, وتخيفوا آخرين لا تظهر لكم عداوتهم



الآن, لكن الله يعلم سرهم ونجواهم. وما تبذلوا من مال وغيره في سبيل الله قليلا أو كثيرًا يخلفه الله عليكم في الدنيا, ويدخر لكم ثوابه إلى يوم القيامة, وأنتم لا تُنْقصون من أجر ذلك شيئًا.

قال شيخنا الشنقيطي ــ رحمه الله ــ: (وانظر قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ " فهو أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية وعدم الجمود على الحالات الأول إذا طرأ تطور جديد ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين)(١).

قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُم" أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب كما فعل رسول الله ﷺ ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ وكلما تعده لصديقك من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عدتك قال ابن عباس: القوة ها هنا السلاح والقسي وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**"،... ولما كانت السهام من أنجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولا للأرواح خصها رسول الله ﷺ بالذكر لها والتنبيه عليها(٢).

ولما كان قوله تعالى" مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ" يتسع لكل مبتكر في هذا الزمان، قال العلامة الآلوسي: (وقد مدح ﷺ الرمي وأمر بتعلمه في غير ما حديث).

وأنت تعلم أن الرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو لأنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع ولا يكاد ينفع معهما ما نبل وإذا لم يقابلوا بالمثل عم الداء العضال واشتد الوبال والنكال وملك البسيطة أهل الكفر والضلال، فالذي أراه ــ والعلم عند الله تعالى ــ تعين تلك المقابلة على أئمة المسلمين وحماة الدين، ولعل فضل ذلك الرمي يثبت لهذا الرمي لقيامه مقامه في الذب عن بيضة الإسلام والفوز بالجنة ــ إن شاء الله تعالى ــ ولا يبعد دخول مثل هذا الرمي في عموم قوله سبحانه "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ "(٣)، ولعل ما يؤيد هذا القول ما طور به النبي ﷺ جنده بكل متاح يومئذ حتى قاتلوا الفرس والروم.

ولكن من القصد في الفكر أن نعلم أن الجندية في الإسلام ليست إلا سببا من أسباب النصر ولكن الناصر في الحقيقة هو الله وحده، وذلك لأدلة متعددة في القرآن الكريم منها:

---

(١) أضواء البيان:٣/٣٨.

(٢) القرطبي:٨/٣٧.

(٣) روح المعاني: ١٠/٢٥.



قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[آل عمران١٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال:٦٢]

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنفال: ١٧].

المبدأ الرابع: الصلاح:

والمقصود بالصلاح الاستقامة على أمر الله، في كل ما أمر ونهي، في المنشط والمكره قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠].

فهذه الآية لا تفرق بين جندي ومدني، بل تصدق على كل مؤمن قال ربي الله ثم استقام على ذلك، والاستقامة ليست قولا مجردا عن العمل، بل هي تطبيق عملي لأخلاق الإسلام وترجمة لعقيدة التوحيد التي تزن الأمور بلا إفراط ولا تفريط.

قال الفخر الرازي: (قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ ليس المراد منه القول باللسان فقط؛ لأن ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا أن ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية إذا عرفت هذا فنقول الاستقامة تكون في الدين والتوحيد والمعرفة والأعمال الصالحة. كما قال جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين حتى يكون قوله إن الذين قالوا ربنا الله متناولا للقول والاعتقاد ويكون قوله ثم استقـاموا متناولا للأعمال الصالحة، قال أبو بكر الصديق ﷺ: (ثم استقاموا أي: لم يتلفتوا إلى إله غيره).



قال ابن عباس: (هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه وقع في أنواع شديدة من البلاء والمحنة ولم يتغير ألبتة عن دينه فكان هو الذي قال: " ربنا الله" وبقي مستقيما عليه لم يتغير بسبب من الأسباب)(١).

قلت: والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

من استقام على أمر الله فلا خوف عليه في سلم ولا حرب، والإسلام هو الاستقامة.

فعن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلا قال يا رسول الله: حدثني بأمر أعتصم به قال: "**قل ربي الله ثم استقم**" (٢).

وقال أبو الدرداء: (إنما تقاتلون الناس بأعمالكم)(٣).

ومن هنا نقول: إن عدم الصلاة واصطحاب الخمر والميسر والنساء والعربدة في القتال من أبرز أسباب الهزيمة حتى وإن بدت نصرا في الظاهر، لأن الذنوب أعدى أعداء المسلم.

المبدأ الخامس: طاعة القائد:

وعندما نقول طاعة القائد إنما نعني به القائد المسلم الذي لا يأمر إلا بمعروف ولا ينهى عبداً إذا صلى، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولقد أطاع الجندي المسلم قائده ونبيه محمداً ﷺ وكل من أنابه النبي على سرية أو غزوة لأنهم عرفوا الطاعة على أنها: (كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله)(٤).

قال تعالى:" ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٤٦ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال سبحانه في طاعة أولى الأمر الملحقة بطاعة الله ورسوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ۝٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٧ /١٠٥.

(٢) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح: ٦٠٧/٤ رقم: ٢٤١٠.

(٣) البخاري: باب: عمل صالح قبل الجهاد: ١٠٣٤/٣.

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي : ٥٨٢، والتعريفات للجرجاني: ١٤٥.



قال الفخر الرازي: (هذه الآية إنما نزلت في شأن الوقائع المتعلقة بالحروب والجهاد)(١) والجمهور على أن أولى الأمر هم الأمراء والعلماء (٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**"(٣).

ولعل المثال التطبيقي على أن المصيبة تحل ديار المخالفين لقادتهم العسكريين ــ على ما ذكرنا سلفا في تعريف القائد ــ ما سطره القرآن الكريم وبسطته كتب السيرة النبوية العطرة في غزوة أحد.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فالمراد بمصيبة المسلمين القرح الذي مسهم يوم أحد والمراد بمصيبة الكفار بمثليها قبل القرح الذي مسهم يوم بدر؛ لأن المسلمين يوم أحد قتل منهم سبعون والكفار يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون(٤).

وقد ذكرت جل كتب السير أن المصيبة التي حلت بالمسلمين يوم أحد كانت بسبب مخالفة الجند لأمر القائد ﷺ حيث نظم الجند كلا في موقعه فلا يتزحزح منه حتى يذوق الموت أو ينال النصر، ولما لاح النصر في أول المعركة للمسلمين، ووجد الرماة الذين كانوا في حماية ظهر الجند ذلك، انقضوا ــ ناسين أمر النبي ﷺ على الغنائم فكان ما وصف بالمصيبة التي توازي الهزيمة، وهو درس لكل أجناد المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المبدأ السادس: التعاون ونبذ الفرقة:

والأمر بالتعاون بين المسلمين بصفة عامة من أصول هذا الدين وقواعده حيث إن الأمة الإسلامية أمة واحدة فربها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال ــ سبحانه ــ أيضاً: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وحتى تحافظ هذه الأمة على وحدتها أمرها الله بالتعاون فيما بينها والتلاحم على الحق المبين فقال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٠/١٦٠.
(٢) المحرر الوجيز: ٢/٧٠.
(٣) رواه البخاري : ١/٢٤٦، رقم: ٦٦١.
(٤) مفاتيح الغيب: ٩/٦٦، أضواء البيان: ١/٢٠٨.



ﭐلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

وقد حذر الله تعالى من عواقب التنازع والشقاق فقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وذهاب الريح في الآية معناه: ذهاب القوة والنصر، قال الشنقيطي: (نهى الله ـ جل وعلا ـ المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التنازع مبينا أنه سبب الفشل وذهاب القوة ونهى عن الفرقة ـ أيضا ـ في مواضع أخر كقوله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ونحوها من الآيات وقوله في هذه الآية "وتذهب ريحكم" أي: قوتكم، وقال بعض العلماء: نصركم، كما تقول العرب: الريح لفلان إذا كان غالبا ومنه قوله:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكون)[1] .

ومن هنا فإن الله تعالى قد صرح في القرآن الكريم بأنه يحب المقاتلين المتحدين تحت راية الإسلام المتعاونين فيما بينهم النابذين لبذور الشقاق والنزاع.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤]، فالآية تذكرنا أعظم عوامل النصر ألا وهو الثبات عند اللقاء بأن يكون الجنود كالبنيان المرصوص في قوته وحمايته وثباته، وقد عاب الله تعالى على اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر:١٤].

وقد جاءت السنة بهذا التشبيه للتعاون في قوله ﷺ: "**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه**"[2]. وقد أثر عن أبي موسى رضي الله عنه قوله: (لأصحابه الزموا الطاعة فإنها حصن المُحارب)، وقال قتادة عن هذه الآية الكريمة: (ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره وأن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به).

---

(١) أضواء البيان: ٢/١٠٢.

(٢) البخاري: ١/ ١٨٢، رقم: ٤٦٧.



يقول الشنقيطي: (وإن المسلمين اليوم لأحوج ما يكونون إلى الالتزام بهذا التوجيه القرآني الكريم إزاء قضيتهم العامة مع عدوهم المشترك ولا سيما وقد مر العالم الإسلامي بعدة تجارب في تاريخهم الطويل وكان لهم منها أوضح العبر ولهم في هذا المنهج القرآني أكبر موجب لاسترجاع حقوقهم والحفاظ على كيانهم فضلا عن أنه العمل الذي يحبه الله من عباده وبالله تعالى التوفيق)[1].

وقد طبق النبي ﷺ الآية بتمامها في جنده، كما قال سعيد بن جبير: (كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم) وهذا تعليم من الله للمؤمنين[2]، من هنا نجزم بأن التراص يقضي على التنازع لأن التنازع سليل الهوى والهوى يؤدي إلى الفشل، أعاذنا الله منه.

المبدأ السابع: التخفف من حب الدنيا:

على الجندي المسلم أن يتخفف من الحب المفرط للدنيا كي تهون عليه ويحوز شرف النصر، ويرجو شرف الشهادة، ولعل من الأمثلة الماثلة في عقل كل مسلم، ما حدث للأوائل في أحد من قرح، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٠]. والقرح هنا هو ما أصاب المسلمين من القتل والجرح والكلْم.

ومع القرح هم وحزن، قال الله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فمرة قرح ومرة حزن وفي آية أخرى مصيبة حدث كل ذلك بسبب نزول الجنود من أماكنهم التي أمر النبي ﷺ بالبقاء فيها متعرضين للغنائم، مجتهدين في حيازتها، وبهذا كر المشركون بعد انكشاف ظهور المسلمين فكان ما وصف الله مما حدث للمسلمين، فالسبب هو حب الدنيا والمسارعة إلى جمع حطامها، ومن هنا كان على الجندي المسلم أن ينظر إلى الدنيا نظرة معتدلة ليحوز واحدا من مبادئ العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم.

المبدأ الثامن: الشجاعة في ملاقاة العدو:

الجندي المسلم أمامه إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وعلى هذا فلا وجود للجبن أو التخاذل إلا ممن ذهب في الحسنيين معاً، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، اثبتوا لأن الله تعالى يحبكم وهو ناصركم فاذكروه في مواقف المدد والقتال والشدة، وهنا تأتي الطمأنينة قال تعالى:

(١) أضواء البيان: ١٠٧/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٦٠/٤.



﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد: ٢٨]، فكأن القرآن ينادينا أن نواجه الشدائد بالثقة بالله، والتوكل عليه فهو وحده الناصر: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١ ﴾ [محمد:١١]. أي: لا ناصر لهم.

وأمر الله الموجه لجند الإسلام يؤكد الثبات أما العدو وعدم التراجع إلا في حالتين:

في حالة: الكر بعد الفر ليرى عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وذلك من الخداع في الحرب.

وفي حالة: الانحياز إلى فئة أي: التحول إلى جماعة من المسلمين ليتقوى بها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

ولعلنا نلمح السر في التعبير بقوله تعالى في حق الفار لا للكر والخداع ولا للانضمام إلى فئة مسلمة بقوله تعالى﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ ﴾ لنقف على أن الفار من المعركة جبنا كأنه يكشف دبره أي عورته أمام الأعداء وفي هذا من الترهيب والتفضيع لأمر الفار ما فيه.

ويوم الفرقان أمر الله جنده بالثبات والشجاعة فقال تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ ﴾ [الأنفال: ١١: ١٤].

والآية تحمل أمراً بالثبات والمكنة ليس فقط من العدو كعدو، بل من رقاب العدو وبنان العدو، وإلقاء الله الرعب في قلوب الكافرين سنة ربانية لا تتخلف لأن الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ ﴾ [الصافات: ١٧١: ١٧٣]. يثبت قلوبهم ويهبهم الثبات، وكلما كان ظن الجندي بربه خيرا كان الله له في النصر قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، ولنا أن نوقن بأن التولي يوم الزحف من الكبائر كما ثبت في الصحيح.



المبدأ التاسع: مراقبة الله في العدو:

مراقبة الله في كل أمرنا واجبة، ولكننا نخص الجندي هنا بالذكر، لأنه مزود بآلات قتل وهدم وترويع، فإذا ما كان بمعزل عن مراقبة الله له في مهامه كلها، أدى ذلك إلى الفساد في الأرض وسفك الدماء المحرمة بغير حق، وترويع الآمنين، وهذا ما يحذر منه الإسلام، فالحرب في الإسلام عقيدة وشرف لها أصولها ومبادئها السامية المبنية على المراقبة لله تعالى قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧]، فما كان القتال في الإسلام للتشفي أو التمثيل أو إثارة للزنا والفواحش، أو العدوان على الناس بسياسة الأرض المحروقة ، كل ذلك لم يكن ولن يكون إن شاء الله تعالى.

ولنا أن نقف على هذه الوصية الغالية لرسول الإنسانية ﷺ إذا أمر أميرا على جيش، عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال ثم كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: "**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا ولا تغدِروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصالٍ (أو خلال) فأيَّتُهُن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرْهُم أنَّهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكونُ لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، فإن هم أبَوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمَّةَ اللهِ وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهونُ من أن تُخفروا ذمةَ الله وذمةَ رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا**"(١).

ولكل المدافعين عن حقوق الإنسان ويمثلون بالإنسان ويروعونه أن يقفوا على هذه الوثيقة التي جعلت من الحرب قيمة رفيعة في الأخلاق والحوار، فالغزو باسم الله معلى سننه في

(١) مسلم: ١٣٥٧/٣ رقم: ١٧٣١ .



كتابه، وعلى هذا فلا تغلُّوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصالٍ (أو خلال) فأيَّتُهُن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم.

ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرْهُم أنَّهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين..

لنا أن نقدم في زمان القتل ــ بالقنابل الذكية والذرية والجرثومية والكيماوية والانشطارية وأسلحة الدمار الشامل والإبادة الجماعية ــ هذا النموذج للعالم لنقول هذا ميثاقنا فأين مواثيقكم؟؟؟!!!

المبدأ العاشر: الصبر والأناة:

من المبادئ الإسلامية التي يجب على الجندي أن يتخلق بها الصبر، أقول الصبر بصفة عامة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١: ٣]. والصبر لأنه المطلوب الرئيس في المجابهة مع العدو قال تعالى في شان غزوة بدر الكبرى: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥ ﴾ [آل عمران: ١٢١٥]، فمع الصبر المدد، ومع الصبر الفلاح حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

يقول ابن جزي الكلبي: (وصابروا أي: صابروا عدوكم في القتال، ورابطوا: أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد)(١).

قال ﷺ: "**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**"(٢).

والصبر وقاية من الفشل، فبمراعاته يكون النصر قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٤٦ ﴾ [الأنفال:٤٦].

والصبر أحد أعمدة البر الذي هو التوسع في الخير، ورافد من روافد التقوى قال تعالى في آية البر: ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(١) التسهيل: ١/١٢٨.

(٢) البخاري: ٣/١٠٥٩، رقم:٢٧٣٥، ومسلم: ٣/١٥٣٠، رقم: ١٩١٣.



ولقد صبر النبي ﷺ وصحابته البررة حتى مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ــ ولنا فيهم الأسوة الحسنة ــ وكان نتاج ذلك نشر الإسلام في أرض الله الواسعة وتنعمنا نحن وكل موحد بدين أصابهم بسببه ما أصابهم قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة:٢١٤].

فكم فقدوا من أجل الإسلام من أهل وولد وبيت ومال، وكم ذاقوا من المر ألوانا.

ونظير آية البقرة آيات تحث على الصبر، والتخلق بأخلاق الصابرين فقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٣١].

ولكون الصبر واحد من أقوى أسباب النصر قال ﷺ: "**وأن النصر مع الصبر**"[(١)]، فعلى الجندي المسلم أن يصبر ويصابر كي يحوز واحداً من مبادئ الجندية في الإسلام الحنيف، وليرجع إلى التاريخ ليرى كيف صبر النبي ﷺ في كل غزواته خاصة قلاع وحصون خيبر.

المبدأ الحادي عشر: عدم التأثر بالشائعات:

لا غرابة عندما نقول إن الشائعات الكيدية لو تمكنت من سامعيها وراجت فإنها تعصف بكل شيء، وتحطم المعنويات، وتغرس الجبن والخور، لذا أمرنا الله تعالى ألا نستجيب لها ودعانا سبحانه للتثبت من الأخبار فقال جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦].

ولقد رصد القرآن الكريم ما أشاعه أهل الكفر في مكة بين القبائل إبان خروج سرية عبدالله بن جحش وقتله واحداً من المشركين وقولهم: إن أصحاب محمد يقاتلون بل يقتُلون في الأشهر الحرم فكان الرد الحاسم من الله تعالى حيث قال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) مسند أحمد : ٣٠٧/١، رقم: ٢٨٠٤.



يقول ابن القيم: (بعث عبد الله بن جحشٍ الأسدي إلى نخلة في رجب، على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة، في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيراً لقريش، وفي هذه السرية سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ كتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ولما فتح الكتاب، وجد فيه: «**إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم**» فقال: سمعاً وطاعةً، وأخبر أصحابه بذلك، وبأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة، فلينهض، ومن كره الموت، فليرجع، وأما أنا فناهض، فمضوا كلّهم، فلما كان في أثناء الطريق، أضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا في طلبه. وبعد عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارةً فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان، ونوفل: ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يومٍ من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم، انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة، دخلوا الحرم، ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين، وأنكر رسول الله ﷺ عليهم ما فعلوه.

واشتد تعنّت قريش وإنكارهم ذلك، وزعموا أنهم قد وجدوا مقالاً، فقالوا؛ قد أحل محمد الشهر الحرام، واشتد على المسلمين ذلك، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقول سبحانه: هذا الذي أنكرتموه عليهم، وإن كان كبيراً، فما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله، والصد عن سبيله، وعن بيته، وإخراج المسلمين الذين هم أهله منه، والشرك الذي أنتم عليه، والفتنة التي حصلت منكم به أكبر عند الله من قتالهم في الشهر الحرام)(١).

فلو استجاب المسلمون للشائعات لأنهت حياتهم في مهد الإسلام، والله غالب على أمره.

المبدأ الثاني عشر: السرِّيَّة التامة:

الجندي المسلم يحفظ أسرار بلاده من الأعداء، ويعلم أن هذا من مبادئه السامية التي لا تنازل عنها ولا تفاوض فيها حيث إن ما بين يديه من أسرار عهد وأمانة فمن فرط فيها فقد خان الأمانة ولم يوف بالعهد، والله تعالى أمر بالوفاء بالعهد، ونهى عن الخيانة قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى أيضا في أوصاف

(١) زاد المعاد: ٩٣٧/١. والسيرة الحلبية:١٣٨/٣.



البررة: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولقد حدث في جو الغزوات في العهد النبوي الشريف بعض الصور من هـذا القبيـل وواجهها النبي بغاية الحكمة ليكون مثلا يحتذى في مثل هذه القضايا ذات الأهمية الفائقة، وفـي غيرها ــ بداهة ــ.

المثال الأول: ما كان من أبي لبابة ﷺ عندما طلبه يهود بني قريظة وقالوا له: أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فقال: نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح إن فعلتم، كما جاء في الروايـات: حاصـرهم رسول الله ﷺ بضعا وعشرين ليلة وعرض عليهم سيدهم كعب ثلاث خـصال ليختـاروا أيهـا شاؤوا:

إما أن يسلموا ويتبعوا محمدا على ما جاء به فيسلموا قال وتحرزوا أمـوالكم ونـساءكم وأبناءكم فو الله إنكم لتعلمون أنه الذي تجدونه مكتوبا في كتابكم.

وإما أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يتقدموا فيقاتلون حتى يموتوا من آخرهم.

وإما أن يبيتوا المسلمين ليلة السبت في حين طمأنينتهم فيقتلوهم قتلا.

فقالوا له: أما الإسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة.

وأما قتل أبنائنا ونسائنا فما جزاؤهم المساكين منا أن نقتلهم ونحن لا نتعدى في السبت.

ثم بعثوا إلى أبي لبابة وكانوا حلفاء بني عمرو بن عوف وسائر الأوس فأتاهم فجمعـوا إليه أبناءهم ونساءهم ورجالهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فقال: نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح إن فعلتم ثم ندم أبو لبابة ﷺ في الحين وعلم أنه خان الله ورسوله وأنه أمر لا يستره الله عليه عن نبيه ﷺ.

فانطلق ﷺ إلى المدينة ولم يرجع إلى النبي ﷺ فربط نفسه في سارية وأقسم ألا يبرح من مكانه حتى يتوب الله عليه، فكانت امرأته تحله لوقت كل صلاة قال ابن عيينة وغيره: فيه نزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧]، وأقسم ألا يدخل أرض بني قريظة أبدا مكانا أصاب فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي ﷺ من فعل أبي لبابة قال: "**أما إنه لو أتاني لاستغفرت له، وأما إذ فعل ما فعل فلا أطلقه حتى يطلقه الله تعالى**" فأنزل الله تعالى في أمر أبي لبابة: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٢].

فلما نزل فيه القرآن أمر رسول الله ﷺ بإطلاقه.



فحكم فيهم سعد بن معاذ ﷺ بأن تقتل المقاتلة، وتسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم، فقال له رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله ــ تعالى ــ من فوق سبع أرقعة، وأمر رسول الله ﷺ فأخرجوا إلى موضع بسوق المدينة اليوم زمن ابن إسحاق، فخندق بها خنادق ثم أمر ﷺ فضربت أعناقهم في تلك الخنادق(١).

ومن هذه الرواية ندرك أن أبا لبابة ﷺ اعترف بصنيعه، ولما علم أنه يتنافى مع الجندية الإسلامية ومبادئها المحافظة على خطة الجيش فعل ما فعل وتاب الله عليه.

والمثال الثاني: حدث من الصحابي البدري الجليل حاطب بن أبي بلتعة ﷺ عندما أراد أن يخبر قريشا بغزو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة عندما خانوا العهد.

فعن علي ﷺ قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: "**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فائتوني به**" فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا: لتخرجنّ الكتاب أو لتلقينّ الثياب!! فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبيﷺ: " **ما هذا يا حاطب**"؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقا من قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني، فقال النبي ﷺ: "**صدق**". فقال عمر: دعني يا رسول الله ﷺ فأضرب عنقه. فقال: "**إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**"، ونزلت فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ ﴾ [الممتحنة: ١](٢).

ولولا أن النبي ﷺ اطمأن لقوله، وأعلمه الله بصدقه، لكان لحاطب شأن آخر.

ولولا خطورة كشف الأسرار، ما نزل من أجل هذه الحوادث قرآن.

(١) أصل هذه الرواية في البخاري ١٥١١/٤، ٣٨٩٥، ومسلم: ١٣٨٩/٣، ١٧٦٩. والدر المنثور:٤٨/٤.

(٢) البخاري: ١٠٩٥/٣ رقم: ١٧٦٩، ومسلم: ١٥١١/٤رقم: ٣٨٩٥.



المبدأ الثالث عشر: جعل الهزيمة منطلقا للنصر:

لنا في هذا المبدأ أن نحلل كل أسباب الهزيمة في غزوة أحد لنخرج بنتيجة حقيقية يؤيدها الواقع، وهي أن من لم يتعلم من عثاره فلن ينتصر في حياته، فكل الغزوات التي غزاها رسولنا ﷺ بعد بدر كانت موفقة مظفرة، ولنا أن نقلب صفحات القرآن والسنة العطرة لنقف على غزوات بني النضير وبني قريظة وفتح مكة وخيبر وحنين وتبوك، لننظر كيف نجح الإسلام في تأمين الدعوة الإسلامية ودخولها كل فج من أرض الله الواسعة.

المبدأ الرابع عشر: اليقين على أن النصر من عند الله وحده:

على الجندي المسلم أن يتيقن بأن الله عز وجل هو الذي يكسب الأشياء خواصها، فالطعام لا يشبع بذاته، والشراب لا يروي بذاته، والسكين لا يقطع بحدته، ولو كان يقطع بحدته ما سلب منه خاصية الذبح يوم ذبح إسماعيل ــ عليه السلام ــ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٢ــ ١١١].

وعلى هذا فما التجهيزات العسكرية إلا استجابة لله ورسوله في الأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وإلا فإن الله تعالى ينصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذنه سبحانه لا بسلاحها أليس هو القائل سبحانه: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ



غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فالفئة القلية غلبت الفئة الكثيرة بإذن الله وحده لا شريك له.

ولقد أكرم الله الفئة القليلة في بدر بتغيير نواميس العين ومسار رؤياها كما بين الله تعالى في قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

والذي يؤثر في آلة الحرب إصابة للهدف هو الله تعالى وبإرادته، يقول سبحانه: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ... وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٧ ــ٢٦].

والله هو الذي يجعل في الجندي المسلم نعمة التوفيق وحز رقاب الأعداء وبنسبة يقدرها الناصر ــ سبحانه ــ : قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٤ــ٦٦].

يوم أن نكون عبادا لله حقا يوم أن ننتصر إلى قيام الساعة مهما كان في المقابل من قوى على اختلاف مسمياتها: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات:١٧١ــ١٧٣].

ووعد الله تعالى لا يتخلف ولكننا نحن الذين نتخلف.



الخاتمة

بعد سياحة علمية في جنبات القرآن والسنة من خلال موضوع العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم أستطيع أن أستخلص الآتي:

١ـــ أن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي الأصل الأصيل والركن الركين في مبادئ الجندية الإسلامية.

٢ـــ أن صدق النية مع الله من أقوى أسباب النصر على الأعداء.

٣ـــ أن الجندي المسلم عليه أن يتدرب تدريبا جيداً فقطرة العرق في التدريب توفر قطرة الدم في المعركة.

٤ـــ على الجندي أن يتخلق بأخلاق الصالحين، ويتأسى بسيد المجاهدين ﷺ.

٥ـــ الجندي المسلم من مبادئه طاعة قائده، فطاعة أولى الأمر واجبة بنص القرآن الكريم.

٦ـــ على الجنود المسلمين التعاون فيما بينهم، ونبذ التنازع والفرقة، لأن نهاية الفرقة والشقاق الهزيمة، والعياذ بالله.

٧ـــ على المسلم بعامة وعلى الجندي بصفة خاصة أن يكون متخففا من الدنيا بقدر الاستطاعة، فإذا كان منشغلا بالدنيا مستغرقا فكره فيها فلن يقدم على الآخرة.

٨ ـــ طالما فرض على المسلم الحرب فعليه أن يستبسل في مواجهة عدوه بكل شراسة وبسالة وليعلم أن القوة يستمدها مِمن معه القوة جميعاً.

٩ـــ أن مراقبة الله في السر والعلن من أقوى الأسلحة التي يحتويها الجندي المسلم.

١٠ـــ أن يعتقد أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

١١ـــ معرفة أن الإشاعات والإنصات لها مذهب بقلب المحارب مضعف من عزمه، فلا سماع إلا إلى الموثوق به من الأخبار.

١٢ـــ أن كشف الأسرار عيب في الأحرار، وخيانة لأمانة الله ورسوله.

١٣ـــ أننا يجب أن نأخذ من أخطائنا مطلقاً للتصويب والوعي في مستقبل أيامنا.

١٤ـــ اليقين المطلق بأن النصر من عند الله القوي العزيز.

أسأل الله العظيم أن يرزقنا القوة والإخلاص
والصدق مع الله، وأن ينصرنا على من عادنا
إنه جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.د. عبد الفتاح بن محمد خضر
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
كلية الشريعة وأصول الدين بأبها
جامعة الملك خالد



صحيفة المراجع والمصادر

أولا: كتب التفسير

١ــ أضواء البيان للشيخ محمد الشنقيطي، دار الفكر للطباعة بيروت ــ ١٤١٥هــ.

٢ــ التسهيل لعلوم التنزيل محمد بن أحمد الغرناطي، دار الكتاب العربي، لبنان ١٤٠٣هــ، ١٩٨٣م الرابعة.

٣ــ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر، بيروت ــ ١٤٠١ هــ .

٤ــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٥ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت ــ ١٤١٣هــ١٩٩٣.

٦ــ روح المعاني للآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٧ــ المحرر الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الأولى، ١٤١٣هــ ١٩٩٣م.

٨ــ مفاتيح الغيب للفخر الرازي، دار الكتب العلمية،بيروت الأولى ــ ١٤٢١هــ.

ثانيا: كتب السنة

١ــ الجامع الصحيح المختصر للبخاري، دار ابن كثير، بيروت ــ ١٤٠٧ هــ ١٩٨٧م.

٢ــ سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى الترمذي، دار التراث العربي، بيروت ــ تحقيق أحمد شاكر.

٣ــ صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، دار التراث العربي، بيروت ــ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤ــ مسند الإمام أحمد ــ مؤسسة قرطبة ــ القاهرة.

ثالثا: كتب السيرة النبوية

١ــ سيرة ابن هشام ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان.

٢ــ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ــ الرسالة ــ بيروت ــ لبنان.

٣ــ السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ــ دار المعرفة ــ بيروت.

رابعا: كتب اللغة

١ــ التعريفات للجرجاني ــ دار الحديث ــ القاهرة.

٢ــ كليات أبي البقاء الكفوي ــ دار التراث ــ بيروت ــ لبنان.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

